دكتور بهاء الأمير

الفرق بين المماليك والآتين من الخلف





السؤال

باسم الأنصاري

السلام عليكم، وأنا أقرأ في الكتيب الرائع: (ولي الأمر المتغلب)، لفت نظري بشدة ما نقلته يا دكتور في الصفحة ٧٥ عن الكونت دي فولني، من أن علي بك الكبير جاء من جورجيا من منطقة تسمى (أباظة)، ويبدو أن هذه المعلومة تكمن وراءها العديد من الأسرار التي ستكون (كتب التاريخ وعلم الأنساب) المصباح الذي يكشف لنا هذه الأسرار،

وحتى لا أطيل عليك يا دكتور، فما أسأل عنه هو: هل العائلات الشركسية الموجودة في مصر الآن امتداد طبيعي لوجود المماليك الشراكسة، والذي انتهى عصرها بإعدام طومان باي أخر سلاطينها؟ وهل تنسب العائلات الشركسية في مصر لذات الموطن الذي جاء منها (محمد علي)؟ وما الأسباب الحقيقية وراء نزوح هذه العائلات إلى البلاد العربية وبقائهم فيها إلى يومنا هذا؟ ولماذا أغلب هذه العائلات تولت المناصب العليا في البلاد العربية دون غيرها وهل كان هذا مقصوداً؟ وهل كان لهم دور في إنشاء المحافل الماسونية في مصر؟ وأخيرا هل لليهود علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتلك العائلات الشركسية النازحة إلى البلاد العربية وعلى رأسهم مصر؟

أعلم يا دكتور أن أسئلتنا كثيرة لا تكاد تنتهي ولكن كتبك ورسائلك يا دكتور هي ما تجعل الأسئلة تتولد بغزاره في عقولنا، فأرجوا أن يسمح وقتك بالإجابة على هذه الأسئلة التي ستحل العديد من الألغاز بشأن التاريخ الحقيقي لبلاليص ستان.

الإجابة

دكتور بهاء الأمير

(١)

علي بك الكبير، أو جوزيف دافيد، من جورجيا، وليس من أباظة أو أباظيا المتاخمة لها، وكانت أسرته تقيم بها.

(٢)

بلاد الشركس هي المنطقة التي تقع بين البحر الأسود وجبال القوقاز ونهر الفولجا، ويدخل فيها جورجيا وأباظيا/أبخازيا والشيشان.

والشركس هو الاسم الذي أطلقه اليونان والرومان على قبائل شمال القوقاز ثم غلب على هذه المجموعة من الشعوب وصار اسماً لها.

(٣)

الشركس لهم تاريخ عريق ومجيد في عالم الإسلام وتاريخه، فالشركس هم العنصر الغالب في المماليك، ودولة المماليك الثانية، أو دولة المماليك البرجية، هي دولة الشركس.

وأول مجيء الشركس إلى مصر والشام كان في عهد الأيوبيين، وبدءًا بصلاح الدين الأيوبي، الذي اتخذ منهم جنداً وجعلهم فرقاً في جيشه، وأقام لهم ثكنات في جزيرة الروضة في النيل، فصاروا يعرفون بالمماليك البحرية، واثنان من قادة جيش صلاح الدين كانا من الشركس، وهما فخر الدين أياز الجركسي، قائد الفرقة

الصلاحية، وأياز كوج القوقاسي قائد الفرقة الأسدية، ثم تبع صلاح الدين في ذلك سلاطين دولة بني أيوب.

ومن عوامل جلب الأيوبيين للمماليك من بلاد الشركس تحديداً واتخاذهم جنداً وقادة في جيوشهم، أن بني أيوب أكراد من بلدة اسمها دوين، وهي تقع في أذربيجان، المتاخمة لجورجيا، ودوين قريبة من تفليس، وهي الآن عاصمة جورجيا بعد أن صار اسمها تبليسي Tbilisi،

(٤)

رغم وفرة الشركس في جيوش الدولة الأيوبية، فإنهم لم يصبحوا العنصر الغالب في المماليك المجلوبين من خارج مصر للانخراط في الجندية والترقي في الجيوش وصعود سلم السلطة، إلا في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، وهو سابع سلاطين دولة المماليك البحرية، إذ استكثر منهم المنصور قلاوون وجعل منهم حرسه السلطاني وجُل جيشه وقادته، وأنزلهم في أبراج قلعة صلاح الدين، فصاروا يعرفون بالمماليك البرجية.

وفي سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م تمكن أحد الأمراء من المماليك الشراكسة، وهو سيف الدين برقوق الشركسي من توحيد المماليك الشراكسة، بعد وفاة السلطان المنصور علاء الدين علي بن شعبان، وهو آخر سلاطين دولة المماليك البحرية فعلياً، وازاح ابنه الصالح زين الدين حاجى، وكان طفلاً صغيراً، وهو آخر سلاطين المماليك البحرية رسمياً، ليؤسس سيف الدين برقوق دولة المماليك البرجية أو دولة المماليك الشراكسة، وصار هو أول سلاطينها باسم الظاهر برقوق، وكل سلاطين دولة المماليك البرجية بعده من الشركسة، حتى طومان باي.

وكذلك المماليك الذين كانوا يحكمون مصر نيابة عن العثمانيين بعد الفتح العثماني من الشركس، وقد نص الماسوني نابليون في منشوره الذي وزعه على أهل

مصر عند مجيء الحملة الفرنسية أن سبب مجيئه تعنت المماليك الشراكسة مع التجار الفرنسيين، فيقول في منشوره :

"يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا، من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الارض كلها".

(٥)

المماليك عموماً، من الشركس ومن غيرهم، ومنذ بداية وجودهم في مصر مع الدولة الأيوبية، كانوا يُجلبون إلى مصر صبية صغاراً وصفحة بيضاء لم يتكونوا بعدُ بأي شيء، فيدخلون في خدمة قادة المماليك السابقين عليهم ويُربون تربية عسكرية رفيعة وصارمة، وفي الوقت نفسه يربون في كنف العلماء والفقهاء، فينشأون على حب النبي والتوله به، وعلى توقير الشرع والانصياع له، وعلى الطاعة لأهل الحل والعقد الذين يرون قادتهم من المغاوير والسلاطين أنفسهم يبجلونهم ويقبلون أيديهم.

وابن خلدون كان معاصراً لبداية دولة المماليك البرجية وشاهداً على الحياة في مصر إبانها، إذ قدم إلى مصر في عهد مؤسسها الظاهر برقوق، فولاه قضاء المالكية في مصر، وهذا هو وصف ابن خلدون في تاريخه لهذه التربية المزدوجة التي كانت تُعد المماليك ليكونوا أبطالاً مغاوير، وتغرس فيهم أن مهمتهم الدفاع عن الإسلام وحماية أمته وبلاده، وكيف كان مجيئهم لطفاً بمصر والشام وإنقاذاً لها:

" حتى إذا استغرقت الدولة في الحضارة والترف ولبست أثواب البلاء والعجز، ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسي الخلافة وطمسوا رونق البلاد وأدالوا

بالكفر من الإيمان ... فكان من لطف الله سبحانه أن تدارك الإيمان بأحياء رمقه، وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية سياجه، بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها الغزيرة المتوافرة أمراء حامية وأنصاراً متوافية، يجلبون من دار الحرب إلى دار الإسلام في مقادة الرق الّذي كمنَ اللطف في طيه، وتعرفوا العز والخير في مغبته، وتعرضوا للعناية الربانية بتلافيه، يدخلون في الدين بعزائم إيمانية وأخلاق بدوية لم يدنِّسها لؤم الطباع، ولا خالطتها أقذار الذات، ولا دنستها عوائد الحضارة ولا كسر من سورتها غزارة الترف ... أهل الملك في مصر يستعرضونهم، لا بقصد الاستعباد وإنما هو إكثاف للعصبية وتغليظ للشَّوكة ونزوع إلى العصبية الحامية ... وينزلونهم في غرف الملك ويأخذونهم بالمخالصة ومناهدة التربية ومدارسة القرآن وممارسة التعليم حتى يشتدوا في ذلك، ثم يعرضونهم على الرمي والثّقافة وركض الخيل في الميادين والمطاعنة بالرماح والمماصعة بالسيوف حتى تشتد منهم السواعد وتستحكم الملَكات، فإذا بلغوا إلى هذا الحد، ضاعفوا أرزاقهم ووفروا من أقطاعهم وفرضوا عليهم استجادة السلاح وارتباط الخيول والاستكثار مِن أجناسهم لمثل هذا القصد، وربما عمروا بهم خطط الملك ودرجوهم في مراتب الدولة، فيسترشح من يسترشح منهم لاقتعاد كرسي السلطان والقيام بأمور المسلمين، عناية من الله تعالى سابقة ولطائف في خلقه سارية ... وهم شعوب القفجاق والروس والعلان والمولات وما جاورهم من قبائل جركس".

(٦)

لم تكن هناك مشكلة في جلب المماليك من خارج مصر والشام إليها، أياً كانت أصولهم والبلاد التي يُجلبون منها، لأن هندسة المعيار والميزان كانت تحكم كل شيء، ولا يمكن لأحد وصل إلى السلطة، ولو كان يهودياً، أن يغير مسار أمة الإسلام أو ينحرف بها عن المسار الذي بدأ بالدولة النبوية والخلافة الراشدة، ولا كان

في مقدور ملك ولا سلطان ولا حتى الخليفة أن يوالي أعداء الأمة في وجود هندسة المعيار والميزان ووجود طبقة أهل الحل والعقد المنتشرة في أنسجة المجتمعة كلها وتقوم على ضبطها وضبط العلاقات بين عموم الناس بمحتلف صنوفها.

وقبل ذلك والأهم منه أن طبقة أهل الحل والعقد من العلماء كانت جزءًا من تكوين السلطة وتركيبها، وقرارات السلطة وأوامر السلطان لا تصدر إلا بعد عرضها على أهل الحل والعقد وموافقتهم عليها، والحاكم ملزم باتباعها وليس مختاراً، لأن سلطة أهل الحل والعقد هي سلطة الشرع الحاكم الحقيقي لكل شيء، وتمرد السلطة والسلطان على أهل الحل والعقد يعني انهيار الدولة وفقدان السلطان والسلطة لشرعيتها، وليس كما يفهم بعض ضعاف العقول أن أهل الحل والعقد مجرد مشايخ صنْعتهم الكلام والخطابة، ولا وزن لهم في السلطة ولا قيمة لما يقولونه فيما تقرره، فيسدون نصائح لولي الأمر ثم يسير هو في أي اتجاه يزينه له هواه.

(٧)

لم تظهر المشكلة في القادمين من خارج مصر الى داخلها، ولم يصبحوا أداة تخريبها والانحراف بها وتوطئتها لأعدائها وأعداء الإسلام من الإمبراطوريات الماسونية، إلا مع وصول أول الاتين من الخلف في تاريخ مصر وأول من يصل لحكمها من خريجي حواري اليهود، محمد علي، إذ وظف الجيش الضال الذي بنته له الإمبراطوريات الماسونية في كسر هندسة المعيار والميزان وتذويبها بالقوة، عبر الاطاحة بالأزهر وعلمائه من دائرة السلطة وصناعة القرار، وإخراجه للعلماء من الدوائر العليا في المجتمع والإزراء بهم، ومصادرته للأوقاف، وإنشائه المدارس وإرساله البعثات لتخليق طبقات جديدة تحل في المجتمع محل أهل الحل والعقد من العلماء، وتفعل له ما يشير لها عليه دون مراجعة ولا ممانعة في مقابل إنعامه عليها.

وقد صار بناء هذه الطبقات الجديدة الذهني والنفسي غربياً وترى كل شيء وتفهمه وتحكم عليه بموازين الغرب، وولاؤها له، وتتطلع إليه وتستلهمه في كل شيء، ولا صلة للإسلام والشرع بتكوينها ولا فهمها للوجود والحياة ولا بغاياتها وقيمها وأخلاقها.

ثم فتح أول الآتين من الخلف أبواب مصر أمام القادمين من خارجها، وصنع منهم طبقات عليا ووضع مقاليد مصر في أيديهم، وعلى خلاف المماليك كان جُل هؤلاء من غير المسلمين، الأروام واليونان والأرمن والطليان والفرنسيين، وجاءوا عامدين قاصدين شق مسار آخر لمصر غير مسارها الإسلامي من أجل إلحاقها بالإمبراطوريات الماسونية.

ومن بين هؤلاء تسلل اليهود إلى مصر صرحاء وأخفياء، بل وجه أول الآتين من الخلف دعوة لليهود أن يقدموا من كل مكان في العالم ويستوطنوا مصر، وبناءًا على هذه الدعوة، كما يقول أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العبرية في تل أبيب، يعقوب لانداو، في كتابه: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية:

"تدفق يهود السفارد على مصر من كافة أنحاء الإمبراطورية العثمانية، بدءًا من أزمير وحتى تونس والجزائر ... وكانوا يدخلون إلى الإسكندرية دون جواز سفر أو بطاقة هوية".

فما أشبة الليلة بالبارحة!

وجل الذين هبطوا على مصر منذ عهد أول الآتين من الخلف، كانوا أسراً جاءت من مناطق واحدة وبينها قرابة وارتبطت في مصر بالمصاهرة، وكلها كانت تتخفى خلف ألقاب مأخوذة من بلاد في الدولة العثمانية لحجب أصولها وأسماء أسرها الحقيقية، وأول هؤلاء هو محمد علي نفسه، أول الثلاثة الآتين من الخلف في تاريخ مصر، وأول من يصل من خريجي حواري اليهود إلى رأس السلطة فيها.

وقد قلت في رد على سؤال سابق إنه من مدينة قولة في اليونان، واسمها هذا: قولة، بفتح القاف والواو واللام، وتنطق ققلة، بقلب الواو الشفوية فاءًا، اسمها هذا هو النطق التركي لاسمها اليوناني: كافالا، وهو مأخوذ من القبالاه، لأن المدينة تحولت منذ بدايات القرن السابع عشر إلى مستوطنة لليهود السفارديم، وقولة مع سالونيكا القريبة منها هما حارة اليهود في اليونان العثمانية.

وقد بينا في أكثر من موضع من كتاب: ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان الفرق الجوهري والرئيسي بين ولاة الأمر المتغلبين من المماليك القادمين إلى مصر من خارجها للصعود في سلم السلطة، وبين الآتين من الخلف من خريجي حواري اليهود وما يفعلونه بعد الاستيلاء على السلطة بتدبير من الإمبراطوريات الماسونية وبمعاونتها لهم ببناء الجيوش وإمدادهم بالسلاح، فهاك هو:

"ولي الأمر المتغلب أول شيء يفعله بعد تغلبه هو أن يعلن دخوله في طاعة الخلافة، والانصياع للشرع، والتوقير لأهل الحل والعقد، ثم يواصل قتال أعداء الأمة الذين كان يقاتلهم من سبقه وكان تغلبه عليه ... ولي الأمر المتغلب على خصومه ومنافسيه، معادلةٌ طرفها الأول أن يُقر أهل الحل والعقد بسلطة هذا المتغلب ويصبح ولياً للأمر وتكون له طاعة الرضا والقبول، في مقابل أن يكون طرفها الثاني أن يواصل مجاهدة أعداء الأمة في الخارج، ويخضع للشرع في الداخل، ويترك قيادة المجتمع وصناعة ذهنه ونفسه لأهل الحل والعقد من العلماء والقضاة وأهل الشريعة ... أما الآتون من الخلف فهم يتغلبون ليس على خصومهم ومنافسيهم، بل على الأمة كلها وينحرفون بمسارها ويوطئونها لأعدائها، فأول شيء يفعلونه بعد أن يصلوا إلى السلطة هو توظيف دولتهم وتعليمهم وإعلامهم في تذويب العقائد والإطاحة بالشرائع، ويتحرشون بالعلماء، ويطلقون الفسقة والزنادقة والمنحلين ويبسطون الحماية عليهم، ويتواطؤون مع أعداء الأمة عليها، ويواكب ذلك إعلانهم الدخول في طاعة الغرب، وطلب رضاه وإعتراف منظماته، وتلفيق دستور مستمد من قيمه وقوانينه، وتصعيد من يستلهمونه

ويدورون حوله ... فمصدر الشرعية الأصلي والأعلى للآتين من الخلف، وللمسار اليهودي الماسوني كله منذ أن بدأ مع أول الآتين من الخلف، وإلى زمان ثالث الآتين من الخلف، هو في الحقيقة الغرب والسير خلفه، وليس مجرد حيازة السلاح، بالضبط كما أن مصدر الشرعية الأعلى لولي الأمر المتغلب، ولمسار عالم الوحي كله، هو الخلافة وإقامة الشرع، وليس مجرد السلاح والغلبة ... والباب الذي لابد من الدخول منه لنوال رضا الغرب هو موالاة اليهود ودولتهم، أو الاقتراب منها، أو تذويب عداوة الشعوب لها، أو صنع المعارك الوهمية وخوضها لصرف الأنظار عنها ... الآتون من الخلف في بلاليص ستان، شرعيتهم من الخارج، ويواكب تذويب سياساتهم وإعلامهم وتعليمهم للعقائد وإطاحتها بالشرائع وإزراءها بالعلماء، ما يبتكرونه من أعداء ومعارك في الشرق والغرب، وما يبتكرونه من معارك وأعداء داخل الأمة نفسها، وفي كل اتجاه، بعيداً عن اليهود، لإذهال الأمة عن معركتها الأصلية معهم، والتقدم بها في المسار اليهودي الماسوني".

(٨)

بوصولي في الإجابة على سؤالك إلى أول الآتين من الخلف والفرق بين المماليك والآتين من الخلف، يكون قد آن الأوان أن أتوقف عن الإجابة عن الأسئلة فترة، لكي أعود إلى مغارتي، وأستكمل رحلتي مع كتاب بلاليص ستان من أجل إتمامه، فلن أتلقى أسئلة ترد بعد اليوم الذي أكتب فيه هذا الرد، ٩ يوليو ٢٠١٩م، إلى أن يشاء الله عز وجل.

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٦ ذو القعدة ١٤٤٠هـ/٩ يوليو ٢٠١٩م